الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠–١٤؛ ٢: ١–٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ هي صُنعُ يدَيْكَ* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى كالثوبِ* وتَطويها كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَنْ من الملائكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني حتى أجعلَ أعداءَكَ موطِئاً لقدَمَيْكَ* أليسوا جميعُهم أرواحاً خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيرِثونَ الخلاص* فلذلك يجبُ علينا أن نُصغي إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئلاَّ يسرَبَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانتِ الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنةِ ملائِكةٍ قد ثبَتت وكلُّ تعدٍّ ومعصِيَةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا قد نُطِقَ به على لسان الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوه.

الأحد الثاني من الصوم

فيما نتابع مسيرتنا الروحيّة الصياميّة التي تقودنا نحو الآلام الخلاصيّة والقيامة المجيدة، رتّب آباء كنيستنا المقدّسة، أن يُتلى على مسامعنا في الأحد الثاني من الصوم النصّ الإنجيليّ (مر ٢: ١–١٢) المتحدِّث عن حادثة شفاء مخلَّع يحمله أربعة أشخاص. تأنّس الربّ وصُلب وقام لكي يُعيدنا إلى الملكوت الذي فقدناه مع الجدَّين الأوّلَين. أعادنا إلى الملكوت عندما سمّر، على الصليب، صكّ خطايانا وحطّم الموت بموته وانتصر على الشرّير. محا الربّ يسوع، بقيامته، النتيجة المباشرة للخطيئة أي الموت: «وآخر عدوّ يُبطَل هو الموت» (١كو ١٥: ٢٦). هناك، في نهاية رحلتنا الصياميّة، عبر الآلام والصلب والقيامة خُتم خلاصنا وقُضي على الخطيئة والشيطان. لذا، فإنّ إنجيل اليوم هو تذوّق مُسبَق، من أجل تشديدنا في جهادنا الصياميّ، لِما سوف تكون عليه الأمور في الملكوت، حيث ينتفي كلّ مرض وألم، وتنتفي كلّ خطيئة.

تُظهر قصّة شفاء مخلَّع كفرناحوم أنّ الرّبّ يسوع هو محرّر الناس من الخطيئة والمرض الناتج عنها. تُظهر القصّة أيضًا سلطان المسيح المسيانيّ الذي به يبدأ زمن جديد، زمن الملكوت. لذا، فإنّ أهميّة القصّة هي في ما قاله الرّبّ للكتبة: «لكي تعلموا أنّ ابن البشر له سلطانٌ على الأرض أن يغفر الخطايا» (مر ٢: ١٠). كان كلام الرّبّ هذا موجّهًا للكتبة الذين احتجّوا، حسدًا، على قوله للمخلّع «مغفورة لك خطاياك»، فاتّهموه بالتجديف لأنّه «مَنْ يقدر أن يغفر الخطايا إلّا الله وحده». وبّخهم الرّبّ على أفكارهم الشرّيرة التي في أنفسهم وسألهم «لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم»؟. تدل كلمة «قلب» في الكتاب المقدّس على نشاط الإنسان بكليّته: الداخليّ والذهنيّ والشعوريّ والإراديّ. سألهم ما الأيسر؟ غفران الخطايا أم الشفاء من المرض الجسديّ؟ (آية ٩)، وتابع «لكن لكي تعلموا أنّ ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا». يتّضح، من هذا الكلام، أنّهم كانوا

العدد ٩ / ٢٠١٨

الأحد ٤ آذار

الأحد الثاني من الصوم

(أحد القديس غريغوريوس بالاماس)

تذكار أبينا البار جراسيموس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السادس

يعتبرون الشفاء الجسديّ أصعب، وغفران الخطايا أسهل، لأنّهم لا يستطيعون رؤية الخطيئة والتحقّق منها، أمّا الرّبّ يسوع فينظر إلى المرض وسببه في آنٍ؛ يشفي العارض المرضيّ الذي يمكن أن يراه المريض، ويعالج سبب المرض كإبن الإنسان الذي له سلطان على الأرض لغفران الخطايا. لقد نسي الكتبة أنّه لا ينفع الإنسان شيء لو ربح جسده وخسر نفسه.

هنا يُطرح موضوع علاقة المرض بالخطيئة. إنّ إحدى نتائج خطيئة الجدَّين الأوّلَين، حسب تعليم الكتاب المقدّس، كانت دخول الفساد والمرض، وتاليًا الموت، إلى الخليقة. إذًا، يشكّل وجود المرض مظهرًا لحالة الخطيئة ولا يعني هذا أنّ كل مرض هو قصاص على خطيئة معيّنة، لكنّ المرض عمومًا يدلّ على ضعف الطبيعة الإنسانيّة وخضوعها لقوّة الشرّ. لذا، بالنسبة إلى الشعب في العهد القديم، زمن المسيّا المنتظر هو زمن تمحى فيه الخطيئة مع كلّ ذيولها. تجسّد الرّبّ يسوع ليحرّر الإنسان من سلطة الشرّير ويعيد للطبيعة البشريّة الصورة الإلهية التي كانت فيه عند الخلق. عندما تجسّد المسيح وصُلب وقام، عالج أصل المرض بانتصاره على الشرّير محرِّرًا الإنسان. ما حالات الشفاء التي نالها البشر جراء العجائب التي اجترحها الرّبّ إلا تذوّق مسبق للحالة الملكوتيّة الموعودة لكلّ إنسان يكون مع الرّبّ. لذا، تسمّى العجائب «آيات» كونها تُظهر غلبة المسيح الرافع خطيئة العالم على الشرير. إذًا، تعبّر العجائب التي قام بها الرّبّ يسوع عن غلبة الله على القوى الشيطانيّة التي تقبض على الناس وتأسرهم، كما تدلّ على بداية زمن جديد، زمن النعمة والخلاص.

المخلّع المفلوج لم يمنعه مرضه من التقدُّم بإيمان مع حامليه الأربعة إلى الرّبّ يسوع، ابن الله، الغالب الخطيئة والموت. وجد طريقه إلى الرّبّ بإيمان ثابت. يقول القدّيس غريغوريوس بالاماس، الذي نقيم تذكاره اليوم، إنّ كثيرين تمنعهم حقولهم أو زيجاتهم أو اهتماماتهم المعيشيّة من المجيء إلى الرّبّ، لكنّ «كلّ ذلك لم يرد على فكر المريض بسبب شلل جسده، لذلك بالنسبة إلى بعض الخطأة، هناك حالات يكون فيها المرض أنفع من الصحّة ويصبح المرض سببًا لخلاصهم. المرض مثلًا يليّن الأهواء الطبيعيّة الجانحة إلى الشرّ، يداوي الخطيئة عن طريق الضعف الجسديّ فيجعل المريض قابلاً أوّلاً شفاء النفس قبل الشفاء الجسديّ خصوصًا عندما يؤمن بأنّ الشفاء يأتي من الله. هذا يجعله يصبر بشجاعة أكبر على المرض ويلجأ بإيمان إلى الله ويقوم بأعمال على قدر استطاعته طالبًا غفران خطاياه. هذا ما عبَّر عنه المشلول بأعماله، وقدر استطاعته. الرّبّ، بأقواله وأعماله، أكّد هذا الأمر نفسه على الرغم من تجديف الفرّيسيّين وتذمّرهم، لأنّهم لم يستطيعوا أن يفهموا كلّ ذلك».

يحثنا إنجيل اليوم، ونحن في رحلة الصّوم المتّجهة نحو الصلب والقيامة، على السعي بإيمان إلى ابتغاء التطهّر الداخليّ والحلّ من الخطايا لكي نبدأ حياة جديدة مع المسيح وندخل ملكوت السموات.

الإنجيل

(مرقس ٢: ١-١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ كَفْرَناحومَ وسُمع أنَّه في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتى إنَّه لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ البابِ يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه بسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعدما نَقَبوهُ دلوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعاً عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّمُ هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلَّا اللهُ وحدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكن لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ

الخطايا قال للمخلَّع* لك أقول قُمْ واحمِل سريرَك واذهب إلى بيتك* فقام للوقتِ وحمَلَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميعِ حتى دهِش كلُّهم ومَّجدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطُّ.

تأمل

الله هو الذي خلق السماء والأرض.

فكّر البعض ان السماء والأرض وُجدتا بفعل الصدفة، وبقوّة ذاتية متحرّكة. لكن نحن أبناء الإيمان، لا مجال للشكّ عندنا بأنّ سبب وجود هذا العالم هو الله وحده. وفي الحقيقة كثرت آراء العلماء، وتضاربت تعاليم الفلاسفة، ولم يُجمعوا في وقت من الأوقات على رأي واحد، إذ كان كل رأي ينقضه رأي آخر ويخالفه تماماً. وهكذا سقطت كل الآراء بتفاعل ذاتي وتضارب غريب.

نشير هنا إلى أنّ الذين ينكرون وجود الله هم أنفسهم ينكرون وجود علةٍ لوجود الخليقة. وقد بنوا نظرّيتهم هذه على استنتاجات خاطئة. فقال البعض منهم إنّ علّة وجود هذا العالم هي المادّة فقط. وقال آخرون

التأله عند القدّيس غريغوريوس بالاماس

لم يكن القدّيس غريغوريوس بالاماس (١٢٩٦-١٣٥٩)، الذي تعيّد له كنيستنا المقدّسة في الأحد الثاني من الصوم، لاهوتيًّا يبحث عن الشهرة. كان راهبًا وأسقفًا، ولم يهتمّ بالمشاكل الفلسفيّة النظريّة على الرغم من كونه متخصّصًا في هذا المجال. الأمر الذي كان يشغله فعلاً هو إيجاد حلول للمشاكل المتعلّقة بخلاص المسيحيّ. كان يفسّر، كلاهوتيّ، خبرة الكنيسة الروحيّة، وقد واجه المشاكل التي كانت مطروحة في عصره خلال القرن ١٤.

اتّهمه أعداؤه في ذلك الزمان بأنّه حمل طروحات جديدة مدمّرة. لكن قدّيسنا كان متجذّرًا في التقليد الكنسيّ. نجد صدى معظم كتاباته عند الآباء الكبادوكيّين وعند القدّيس مكسيموس المعترف، لكنّ تعاليمه لم تكن مجرّد تكرار لتعاليم مَن سبقوه، بل كانت إمتدادًا لتقليد قديم، وهذا الإمتداد لم يخلُ من الإبداع.

سنتوقف عند موضوع تألّه الإنسان، من بين المواضيع العديدة التي وردت في لاهوت القدّيس غريغوريوس بالاماس. نجد، في التقليد الآبائيّ، أنّ الهدف الأسمى لحياة الإنسان هو «التألّه». هذه العبارة لا تقبلها الأذن بسهولة، لكنها مع كونها كلمة «جريئة»، إلّا أنّ معناها بسيط، وهي من أهمّ المصطلحات في اللّغة الآبائيّة. هنا، تكفي الإشارة إلى عبارة القدّيس أثناسيوس الكبير الشهيرة: «صار الإله إنسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا». إختصر القدّيس أثناسيوس فكرة القدّيس إيريناوس الذي كان يعتبر أنّ الله، بعظيم محبّته، صار مثلنا لكي يتمكّن من جعلنا نصير مثله. الفكرة الآبائيّة حول التألّه هي أنّ الإنسان يبقى على ما هو عليه بطبيعته، أي مخلوقًا، لكنّه وُعد ومُنح، في المسيح يسوع، الكلمة المتجسّد، أن يدخل في شركة مع ما هو إلهيّ: الحياة الأبديّة غير الفاسدة.

الخاصيّة الأبرز للتألّه هي تحديدًا «عدم الموت» أو «عدم الفساد». إنّ الله «وحده له عدم الموت» (١تي ٦: ١٦)، لكنّ الإنسان أُهّل الآن إلى الدخول في «علاقة» مع الله في المسيح وبواسطة قوى الروح القدس. هذا يتخطّى بكثير العلاقة الأخلاقيّة أو الكمال الإنسانيّ. وحدها كلمة «التألّه» تستطيع أن تعبّر بشكل مناسب عن فرادة الوعد والعرض.

قد تبدو عبارة «تألّه» محرجة إن نظرنا إليها كمفهوم وجوديّ، لأنّ الإنسان لا يستطيع بطبيعته أن يصير إلهًا. لكنّ القدّيس غريغوريوس، وآباء الكنيسة، نظروا إلى الموضوع من ناحية أنّها علاقة شخصيّة. التألّه المقصود هو لقاء شخصيّ، هو تلك العلاقة الخاصّة بين الإنسان والله، حيث يلج الحضور الإلهيّ إلى الوجود الإنسانيّ بجملته. لكنّ السؤال الأبرز الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن أن تتحقّق هذه العلاقة الخاصّة مع إلهٍ متعال؟ وهل يدخل الإنسان في هذه العلّاقة مع الله في حياته الحاضرة على الأرض أم تبقى هذه الشركة الإلهيّة التي دُعينا إليها شركةً عن بُعد؟

لقد علّم الآباء الشرقيّون أنّ الإنسان، بارتقائه، يدخل في علاقة مع الله ويعاين مجده الأبديّ. لكن كيف يحدث هذا الأمر إن كان الله «ساكنًا في نور لا

يُدنى منه» (١تي ٦: ١٦)؟ الله بجوهره، أي بطبيعته، لا يمكن إدراكه بالكليّة. يقول القدّيس باسيليوس الكبير إنّنا نعرف الله في أفعاله وبواسطة أفعاله: «نقول إنّنا نعرف إلهنا بواسطة قواه، لكنّنا لا نعلن أنّنا نقترب من جوهره، لأنّ قواه تنحدر إلينا، أمّا جوهره فيبقى غير مقترب إليه». كذلك، يعلن القدّيس يوحنّا الدمشقيّ أنّ «قوى» الله هي إعلان حقيقيّ لله نفسه.

يرتكز القدّيس غريغوريوس بالاماس إلى هذا التقليد القديم ليقول إنّ الله الذي لا يُدنى منه، يدنو من الإنسان، عبر «قواه»، بطريقة سريّة. إذًا، يشدّد القدّيس غريغوريوس على التمييز بين جوهر الله ونعمته. ليست النعمة الإلهيّة والمؤلّهة جوهر الله بل قوّته. يفترض كلّ تعليم القدّيس غريغوريوس حركة إلهٍ شخصيّ. الله يتحرّك نحو الإنسان ويحتضنه عبر نعمته الخاصّة وعمله الخاصّ، من دون أن يترك النور الذي لا يُدنى منه، الذي يسكن فيه أزليًّا. يتخطّى الخلاص الذي حقّقه الله، الغفرانَ لأنّه يجدّد الإنسان، وهذا التجديد لا يتحقّق عبر إطلاق قوى مزروعة في الإنسان، بل عبر «قوى» الله نفسه التي يدخل بواسطتها في علاقة خاصّة مع الإنسان، ويُدخله في شركةٍ معه، وهكذا يحصل التألّه.

إرجع إلى ذاتك

يجب ألاّ نميّز ذواتنا ظانّين أنّ الآخرين هم كالإبن الشاطر. إنّ كلاًّ منّا هو شاطرٌ إلى حين مجيء تلك اللحظة المباركة التي يرجع فيها إلى ذاته متذكّراً ومفتكراً في نوعيّة الحياة إلى جانب الأب أو بعيداً عنه. إنّنا نحمل الخطيئة من آدم، لكنّنا نحمل أيضاً شيئاً من طعم الفردوس الذي كان لأوّل الجبلة. عندما يعود الإنسان «إلى ذاته» يشعر بأنّه خسر شيئاً، ويحسّ بالفردوس الضائع فيرجع. أمور كثيرة كانت لتعيق الإبن الشاطر عن العودة «إلى ذاته»، أوّلها الخجل. لقد رحل بوقاحة من دون إقامة أيّ اعتبار لأبيه، فكيف يعود؟ كيف يحمل هذا الخجل كلّه؟ هذا إضافةً إلى أمور أخرى حياتيّة عاشها بعيداً. لكن، عندما يعود الإنسان إلى ذاته، يشعر بطعم الفردوس ويتذكّره، تالياً لا يمكنه إلاّ أن يتذكّر أنّ الله رحوم وعطوف وصالح ويقبل الإنسان الخاطئ عندما يتوب راجعاً إلى ذاته وإلى الله. إن عدتَ حقًّا إلى ذاتك وفهمتَ حالتك وأخذتَ مسؤوليّة أعمالك كلّها على عاتقك من دون البدء بتبرير «الأنا» وإلقاء المسؤولية كلّها على الآخرين كما على الله، وإذا تبتَ حقًّا، فمن المؤكّد أنّك ستمتلئ بإرادةٍ قويّة للعودة لا تُقاوَم ولا يعيقها أيّ أمر، كما سيجتاحك شوقٌ للرّجوع إلى الله، على مثال ما فعل الإبن الشاطر الذي لم يبرّر ذاته، بل اعترف بالذّنب والخطأ: «أخطأتُ إلى السّماء وقدّامك، ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً» (لو ١٥: ٢١).

من كتاب «أين أنت يا آدم؟»
للأرشمندريت سيميون كرايوبولُس
يُطلب من دار المطرانية

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

انّ الخليقة وجدت بسبب تواجد وتفاعل أجسام وذرات صغيرة ومختلفة. وقد قاد الإلحاد البعض إلى أبعد من هذه الحدود.

هذه التعاليم لا تشرح لنا شرحاً وافياً وصحيحاً وجود هذا العالم لأنها ترفض قول الرب: «في البدء خلق الله السماء والأرض»، وبالتالي فهي ترفض وجود الله الخالق. وقد تصوّرَ البعض أنّ هذا العالم الحافل بالخلائق الكثيرة وُجد دون ربّان يقوده ويوجّهه، ووُجد دون تدخّل كائن أعظم منه. وقالوا أيضاً انه وجد صدفة. وقد قادهم إلحادهم إلى غير ذلك من الآراء التي لا مجال للردّ عليها.

أما نحن، فنؤمن بالله ونؤمن بأنه خلق السماء والأرض. فلنمجّد حكمة الخالق وعظمة الخليقة. ان جمال الخلائق المنظورة تكشف لنا كم هو جميل الذي أوجدها، كما أنّ عظمة الأشياء المخلوقة تبيّن لنا ان طبيعة خالقها هي غير متناهية.

القديس باسيليوس الكبير